خطبة: ربّيون في غزة

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1الانعام)

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيدُ المرسلين وخاتمُ النبيين وقائدُ الغرّ المحجلين ، صلوات ربّي وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسانٍ الى يوم الدين ،، أما بعد

فاتقوا الله عباد الله " ومن يتق الله يكّفر عنه سيئاته ويُعظم له أجرا" .

معاشر المؤمنين

كتابُ الله تعالى كتابُ هدايةٍ ورشاد ، ومنهجُ حياة لمن تدبّر آياته ، وتفهم معانيه ومقاصده ، وامتثل أحكامه وآدابه ،

قال تعالى " كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29 ص)

ومن حسن التفهم وجميل التدّبر للقرآن الكريم : تنزيلُ آياته ومعانيها ، ودروسها وأحكامها على واقع الأمّةِ اليوم ،

ونقف ، عباد الله، مع مقطعٍ لآيات من سورة ال عمران ، قال تعالى :

"وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)

هذه سنة الله تعالى ، وهذا منهجه ودينه وهذا هو سبيله ، التدافعُ بين الحق والباطل ، والجهادُ في سبيل الله ، ودفعُ كيد الباطل والظلمِ بقوة الحق ، قال تعالى " وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153 الانعام)

أما من اتبع سُبلَ الاستسلامِ والهوان ، واستسلم للتطبيع والخذلان ، فهذه سبلٌ للشيطان ، وليست من دين الله في شيء ، وهاهم ،عباد الله، شعبُ غزة وأبطالُها المجاهدون قد أخذوا بهذه السنّةِ الربانية ، إعداداً وتربيةً ، وجهاداً وتضحيةً ،،

قال تعالى " وكأين من نبّي قاتل معه ربّيون كثير " كم من نبيٍّ جاهد وقاتل معه جماعات كثيرون من أتباعهم، ممن تربّوا على الطاعة والإيمان ، وهم ربّانيون نُسبوا إلى شرع الله وعبادته وطاعته ،وتحقيق مقتضيات الربوبية لله تعالى ، فأصابهم قتلٌ وجراحٌ وبأساء " فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا " ،

ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا ولا ذلّوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وصابروا ورابطوا ،لأن ذلك الصبرَ والرباط والجهادَ كان في سبيل الله ، و إعلاءِ كلمته وتمكينِ دينه، وإبتغاء مرضاته ، ولهذا قال تعالى " والله يحب الصابرين " ،

وهاهي شهورٌ ثلاثةٌ تمضي على حربِ الإبادةِ التي يشنّها الصهاينةُ على شعب غزة ، ليست حربا كباقي الحروب ، بل هي حربُ الجبناء الذين ضُربت عليهم الذلّة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، هُزموا شرّ هزيمة في المواجهات العسكرية مع المجاهدين الأبطال ، ولم يجدوا وسيلةً ليتظاهروا أمام شعبهم بالنصر إلا بهدم البيوت على الأبرياء ، وقتلِ الالاف من المدنيين ، وجرحِ عشرات الالوف ، وهدمِ دور العبادة والمستشفيات والمؤسسات المدنية ، واغتيال قادة المقاومة الأبطال ،

نسأل اللهَ العزيز المنتقم أن يرينا عاقبةَ إجرامهم ، هزيمةً وذلاًّ وانكسارا ودمارا ،

معاشر المؤمنين

ونتابع الآيات عباد الله ، فيقول ربُّنا جلّ وعلا :

" وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " (147)

" وما كان قولهم " في تلك المواطن الصعبة والأوقات العصيبة " إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا " فقد علموا أن الذنوبَ والإسرافَ ومجاوزةَ حدودِ الشرع من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي عنها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها.

ثم إنهم لم يتّكلوا على ما بذلوه من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبّت أقدامهم عند ملاقاةِ الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين التوبة والاستغفار، و الصبر و الاستنصار ،

واليوم نرى ، عباد الله ، تلك الصورَ المشرقة لمجاهدي غزة الأبطال ذكراً لله تعالى ، واستعانةً به ، وتوكلاً عليه ، دعاءاً له خلال جهادهم وتنكيلهم بالصهاينة الجبناء ، ولعل أبلغَها كان المشهدُ المؤثرُ لذلك البطلِ المجاهدِ الحافظِ لكتاب الله تعالى ، الذي طاردته طائرةُ العدو الصهيوني وأصابته ، فأبى إلاّ أن يلقى ربّه ساجداً لله تعالى رافعا سبابته يشهد شهادة الحق ، وهو يلفظ أنفاسه الطاهرة مجاهدا مرابطا .

عَنْ أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه عَن النَّبيّ ﷺ قَالَ: مَنْ لَمْ يغْزُ، أوْ يُجهِّزْ غَازيًا، أوْ يَخْلُفْ غَازيًا في أهْلِهِ بِخَيرٍ أصابَهُ اللَّه بِقَارِعةٍ قَبْلَ يوْمِ القِيامةِ. رواهُ أَبُو دَاوُدَ بإسناد صحيحٍ.

وتأتي خاتمة الآيات :

" فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)

" فآتاهم الله ثواب الدنيا " من النصر والظفر والغنيمة، " وحُسن ثواب الآخرة " الفوز برضا ربهم الرحيم ، ونيل النعيم المقيم ، وما ذاك إلا لأنهم أحسنوا لله تعالى الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء، " والله يحب المحسنين " محسنين في عبادة ربهم ومعاملة عباده ، ومن الإحسان أن يُفعل عند جهاد الأعداء، كفعل هؤلاء الربيون الربانيون .

نسأل الله تعالى نصراً مؤزرا مبينا لأوليائه ،

وهزيمة وذلاً وانكساراً لأعدائه ،

فهو ولي النصرة والقادر عليه ، اقول ماتسمعون واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ،، إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

لنتعايش مع معاني تلك الايات الكريمة ونعي السياق الذي وردت فيه ، لنتلوا الآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ " (144) ذلك أنه قد أشيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل يوم أحد ، بعد أن دارت الدائرة على المسلمين ، فاختل صفّ المسلمين حينها ، ولكن الله تعالى ثبّت قلوبَ بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين منهم أنس بن النصر رضي الله عنه ، قال عنه أنس بن مالك رضي الله عنه :

استقبل سعدَ بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو ، واها لريح الجنة أجده دون أحد ، قال : فقاتلهم حتى قُتل قال : فوُجد في جسده بضعٌ وثمانون من ضربة وطعنة ورمية ، فقالت أخته - عمتي الربيعُ ابنةُ النضر - : فما عرفت أخي إلا ببنانه . قال : فنزلت هذه الآية : " رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا " . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه ، وفي أصحابه .

وهكذا هم أصحاب الإيمان واليقين ، لاتزعزعهم الفواجعُ عن غايتهم ، ولا تجنح بهم المحنُ عن منهجهم بل ثباتٌ وعزم وصبر ،. وإننا لنرى في مجاهدي غزة الأبطال وشعبِها الصابرِ نصيباً من ذلك الإرث المبارك ، مما يزيد من ثقتنا بنصر الله تعالى لهم ، وأملِنا بتحقق ذلك بإذنه تعالى ، "ويسألونك متى هو قل عسى أن بكون قريبا .